(١٠٩) [الجميل]

لم يرد هذا الاسم الكريم في القرآن، وإنما ورد في الحديث النبوي وذلك فيما رواه مسلم في صحيحه عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (**لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر**)، قال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنًا ونعله حسنًا قال: (**إن الله جميل يحب الجمال، الكبر بطر الحق وغمط الناس**)[١].

وذكر ابن القيم - رحمه الله تعالى - أن قوله: (**إن الله جميل يحب الجمال**) قد رواه جمع من الصحابة - رضي الله عنهم - منهم عبدالله ابن عمرو بن العاص، وأبو سعيد الخدري، وعبد الله بن عمر بن الخطاب، وثابت بن قيس، وأبو الدرداء، وأبو هريرة، وأبو ريحانه رضي الله عنهم جميعًا.

المعنى اللغوي:

«الجمال: الحسن، والجمال: مصدر الجميل، والفعل: جَمُل.

وقوله - عز وجل -: ﴿ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾ ﴾ [النحل: ٦]، أي: بهاء وحسن».

قال ابن سيده: «الجمال:الحُسن ويكون في الفعل والخلق وقد جمُل الرجل بالضم جمالاً فهو جميل وجُمَال وجُمَّال»[٢].

معناه في حق الله تعالى:

قال ابن القيم - رحمه الله تعالى - في نونيته:

---

(١) مسلم (٩١).

(٢) انظر الصحاح، ولسان العرب ١/ ٦٨٥.

«وهو الجميل على الحقيقة كيف لا وجمال سائر هـــــذه الأكـــوان
من بعـــض آثار الجـــميل فربها أولى وأجـدر عند ذي العـــرفان
فجماله بالذات والأوصـــاف والـ أفعـــال والأســـــماء بالبرهان
لا شيء يشـــبه ذاته وصـــــفاته سبحانه عن إفك ذي البهـتان»[1]

ويعلق - رحمه الله تعالى - على قوله ﷺ: (إن الله جميل...) الحديث، فيقول: «والمقصود أن هذا الحديث الشريف مشتمل على أصلين عظيمين. فأوله معرفة، وآخره سلوك، فيعرف الله سبحانه بالجمال الذي لا يماثله فيه شيء، ويعبد بالجمال الذي يحبه من الأقوال والأعمال والأخلاق، فيحب من عبده أن يجمل لسانه بالصدق، وقلبه بالإخلاص والمحبة والإنابة والتوكل، وجوارحه بالطاعة، وبدنه بإظهار نعمه عليه في لباسه وتطهيره له من الأنجاس والأحداث والأوساخ والشعور المكروهة، والختان، وتقليم الأظافر، فيعرفه بصفات الجمال ويتعرّف إليه بالأفعال والأقوال والأخلاق الجميلة فيعرفه بالجمال الذي هو وصفه ويعبده بالجمال الذي هو شرعه ودينه فجمع الحديث قاعدتين: المعرفة والسلوك»[2].

وقال الشيخ السعدي -رحمه الله تعالى- في شرحه لأبيات ابن القيم في نونيته: «**الجميل** من له نعوت الحسن والإحسان، فإنه جميل في ذاته، وأسمائه، وصفاته، وأفعاله، فلا يمكن لمخلوق أن يعبر عن بعض جمال

(١) نونية ابن القيم ٢/ ٢١٤ الأبيات (٣٢٢٣ - ٣٢٢٦).

(٢) الفوائدلابن القيم ص ١٨١.

ذاته، حتى أن أهل الجنة مع ما هم فيه من النعيم المقيم، واللذات، والسرور، والأفراح التي لا يقدر قدرها إذا رأوا ربهم، وتمتعوا بجماله نسوا ما هم فيه من النعيم، وتلاشى ما هم فيه من الأفراح، وودّوا أن لو تدوم هذه الحال، ليكتسبوا من جماله، ونوره جمالاً إلى جمالهم، وكانت قلوبهم في شوق دائم ونزوع إلى رؤية ربهم، ويفرحون بيوم المزيد فرحًا تكاد تطير له القلوب.

وكذلك هو جميل في أسمائه، فإنها كلها حسنى، بل أحسن الأسماء على الإطلاق وأجملها، قال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ﴾ [الأعراف: ١٨٠]، وقال تعالى: ﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾ ﴾ [مريم: ٦٥]، فكلها دالة على غاية الحمد، والمجد، والكمال، لايسمى باسم منقسم إلى كمال وغيره.

وكذلك هو الجميل في أوصافه؛ فإن أوصافه كلها أوصاف كمال ونعوت ثناء وحمد، فهي أوسع الصفات، وأعمّها، وأكثرها تعلقًا، خصوصًا أوصاف الرحمة، والبر، والكرم، والجود.

وكذلك أفعاله كلها جميلة فإنها دائرة بين أفعال البر والإحسان التي يحمد عليها ويثنى عليها ويشكر، وبين أفعال العدل التي يحمد عليها لموافقتها للحكمة والحمد، فليس في أفعاله عبث ولا سفه، ولا سدى ولا ظلم، كلها خير وهدى ورحمة ورشد وعدل: ﴿ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُم ۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ ۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [هود: ٥٦].

فلكماله الذي لا يحصي أحد عليه به ثناء كملت أفعاله كلها فصارت أحكامه من أحسن الأحكام، وصنعه وخلقه أحسن خلق وصنع، وأتقن

ما صنعه: ﴿ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ﴾ [النمل: ٨٨].

وأحسن ما خلق: ﴿ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ﴾ [السجدة: ٧]، ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ [المائدة: ٥٠].

ثم استدل المصنف[١] بدليل عقلي على جمال الباري، وأن الأكوان محتوية على أصناف الجمال، وجمالها من الله تعالى فهو الذي كساها الجمال، وأعطاها الحسن، فهو أولى منها، لأن معطي الجمال أحق بالجمال، فكل جمال في الدنيا والآخرة باطني وظاهري، خصوصًا ما يعطيه المولى لأهل الجنة من الجمال المفرط في رجالهم، ونسائهم، فلو بدا كف واحدة من الحور العين إلى الدنيا لطمس ضوء الشمس كما تطمس الشمس ضوء النجوم: أليس الذي كساهم ذلك الجمال ومنَّ عليهم بذلك الحسن والكمال أحق منهم بالجمال الذي ليس كمثله شيء؟

فهذا دليل عقلي واضح مسلم المقدمات على هذه المسألة العظيمة وعلى غيرها من صفاته، قال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾ [النحل: ٦٠].

فكل ما وجد في المخلوقات من كمال لا يستلزم نقصًا، فإن معطيه وهو الله أحق به من المعطى بما لا نسبة بينه وبينهم كما لا نسبة لذواتهم إلى ذاته، وصفاتهم إلى صفاته، فالذي أعطاهم السمع، والبصر، والحياة، والعلم، والقدرة، والجمال، أحق منهم بذلك.

وكيف يعبر أحد عن جماله وقد قال أعلم الخلق به: (**لا أحصي ثناء**

---

(١) يعني بالمصنف الإمام ابن القيم - رحمه الله تعالى - في نونيته.

عليك، أنت كما أثنيت على نفسك)[1].

وقال ﷺ: **(حجابه النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه)**[2] فسبحان الله، وتقدّس عما يقوله الظالمون النافون لكماله علوًا كبيرًا، وحسبهم مقتًا وخسارًا أنهم حرموا من الوصول إلى معرفته والابتهاج بمحبته»[3].

من آثار الإيمان باسمه سبحانه (الجميل):

أولاً: إثبات صفة الجمال له سبحانه على الوجه اللائق به - عز وجل - على الحقيقة بلا كيف ولا تمثيل، جمال الذات والصفات والأسماء والأفعال قال سبحانه: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾ [الشورى: ١١]، قال القاضي أبو يعلى الفراء رحمه الله تعالى: «اعلم أنه غير ممتنع وصفه تعالى بالجمال وأن ذلك صفةٌ راجعة إلى الذات، لأنَّ الجمال في معنى الحُسْن، وقد تقدم في أول الكتاب قوله: **(رأيتُ ربيِّ في أحسن صُورة)**[4] وبيَّنَّا أنَّ ذلك صفةٌ راجعة إلى الذات كذلك ها هنا، ولأنه ليس في حمله على ظاهره ما يُحيل صفاته ولا يُخرجها عما تستحقه، لأنَّ طَريقَه الكمال والمدح، ولأنه لو لم يُوصف بالجمال جاز أنْ يُوصَفَ بضدِّه وهو القُبْح، وَلَمَّا لم يجزْ أن يُوصف بضده؛ وجب أنْ يُوصف به، ألا تَرَى أنَّا وصفناه بالعلم والقدرة والكلام، لأن

(١) مسلم (٤٨٦).

(٢) مسلم (١٧٩).

(٣) انظر توضيح الكافية الشافية ص ١١٧، وانظر الحق الواضح المبين ص ٢٩ - ٣٢.

(٤) صححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٤٤٨).

في نفيها إثباتُ أضدادها وذلك مستحيلٌ عليه، كذلك ها هنا.

فإن قيل: قوله: «جميل» بمعنى: مُجْمِل منْ شاء مِنْ خَلْقه، لأنَّ فعيل قد يجيء على معنى: مُفعل، ومنه قولنا: حكيمٌ، والمراد محكم لما فعله.

قيل: هذا غلطٌ، لأن الخبر وَرَد على سبب، وهو الحثُّ لهم على التَّجمُّل في صفاتهم لا على معنى التجميل في غيرهم فكان مقتضى الخبر، إنَّ الله جميلٌ في ذاته يحب أنْ تتجملوا في صفاتكم، فإذا حُمِل الخبر على فعل التجميل في الغير، عدل بالخبر عمَّا قُصِدَ به.

فإن قيل: معنى الجمال ها هنا الإحسان والإفضال، فيكون معناه: هو المظهر النعمة والفضل على مَنْ شاء من خَلْقه برحمته.

قيل: هذا غلطٌ لأنَّه قد ذَكَر الجمال والإحسان والإفضال فقال: (جميل يُحبُّ الجمالَ، وجوادٌ يحبُّ الجود، وكريمٌ يحبُّ الكرماء)[1] ، فإذا حَملنا الجمال على ذلك حُمِلَ اللفظُ على التكرار وعلى ما لا يُفيد.

وجواب آخر: وهو أن نِعَم الله ظاهرةٌ، فَحَمْلُ الخبر على هذا يُسقط فائِدة التخصيص بالجمال»[2].

ثانيًا: محبته سبحانه وتعالى لما له من كمال الجمال في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله وما يرى من جمال في خلق الله - عز وجل - هو من جماله سبحانه فحقيق بمن هذا وصفه أن يحب لذاته فليس في أسمائه، ولا في صفاته، ولا في

(١) لم أقف على هذه الرواية.

(٢) إبطال التأويلات لأخبار الصفات ٢/ ٤٦٥، ٤٦٦، نقلاً عن النهج الأسمى للنجدي ٣/ ٣٨.

أفعاله صفة نقص وذم، بل هي جميلة وحسنى وطيبة وخير كلها.

يقول ابن القيم رحمه الله تعالى: «الله سبحانه تعرف إلى عباده من أسمائه وصفاته وأفعاله بما يُوجب محبَّتهم له، فإن القلوب مفطورةٌ على محبَّة الكمال؛ ومن قام به، والله سبحانه وتعالى له الكمال المطلق من كلِّ وجهٍ؛ الذي لا نقص فيه بوجهٍ ما.

وهو سبحانه (**الجميل**)؛ الذي لا أجمل منه، بل لو كان جمال الخلق كلِّهم على رجلٍ واحدٍ منهم؛ وكانوا جميعهم بذلك الجمال: لما كان لجمالهم قطُّ نسبة إلى جمال الله؛ بل كانت النسبة أقلَّ من نسبة سراجٍ ضعيف إلى حذاء جرم الشمس: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾ [النحل: ٦٠].

ومن أسمائه الحسنى: (**الجميل**)، ومن أحقُّ بالجمال ممَّنْ كُلُّ جمالٍ في الوجود فهو من آثار صنعه؟ فله جمال الذات؛ وجمال الأوصاف؛ وجمال الأفعال؛ وجمال الأسماء، فأسماؤه كلُّها حسنى؛ وصفاته كلُّها كمالٌ؛ وأفعاله كلُّها جميلةٌ.

فلا يستطيع بشرٌ النظرَ إلى جلاله وجماله في هذه الدار، فإذا رأوه سبحانه في جنات عدن: أنْسَتْهُم رؤيته ما هم فيه من النعيم، فلا يلتفتون حينئذٍ إلى شيءٍ غيره»[1].

ثالثًا: الرضا بما يقدر الله - عز وجل - ويقضيه من المصائب والمكدرات، لأنه سبحانه لا يفعل إلا ما فيه الحكمة والخير لعبده المؤمن لأن كل أفعاله جميلة وما ينشأ من الفعل الجميل إلا جميل، وهذا يثمر في

(١) روضة المحبين ص ٤٢٠ - ٤٢١.

قلب المؤمن الطمأنينة إلى أقدار الله - عز وجل – المؤلمة، وحسن الظن بالله تعالى وذلك بعد الأخذ بالأسباب الشرعية لمدافعة ما يمكن مدافعته.

رابعًا: الشوق إلى رؤية الله - عز وجل - الذي له الجمال كله والاستعداد بالعمل الصالح المقرب إلى جنته، والتنعم بأعظم نعيم في الجنة ألا وهو رؤية الله - عز وجل - وقد كان الرسول ﷺ يكثر أن يقول في دعائه: (**وأسألك لذة النظر إلى وجهك الكريم والشوق إلى لقائك في غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة**)[1] ، وحري بالمسلم أن يتأسى بالرسول ﷺ في هذا الدعاء.

خامسًا: في قوله ﷺ: (**إن الله جميل يحب الجمال**) حث على التجمل والنظافة، وهذا التجمل يشمل جمال الظاهر في الجسد واللباس من غير إسراف، كما يشمل جمال الأخلاق، وجمال الباطن في القلب وما ينطوي عليه من الأعمال القلبية الجميلة كالإخلاص والمحبة وسلامته من كل ما يدنسه ويكدره.

وعن جمال الصورة واللباس يقول ابن القيم رحمه الله تعالى: «الجمال في الصورة واللباس والهيأة ثلاثة أنواع، منه ما يحمد، ومنه ما يذم، ومنه ما لا يتعلق به مدح ولا ذم. فالمحمود منه ما كان لله وأعان على طاعة الله وتنفيذ أوامره والاستجابة له كما كان النبي ﷺ يتجمل للوفود وهو

(١) النسائي في الصلاة وصححه الألباني في صحيح النسائي (١٢٣٧).

نظير لباس آلة الحرب للقتال ولباس الحرير في الحرب والخيلاء فيه، فإن ذلك محمود إذا تضمن إعلاء كلمة الله ونصر دينه وغيظ عدوه، والمذموم منه ما كان للدنيا والرياسة والفخر والخيلاء والتوسل إلى الشهوات وأن يكون هو غاية العبد وأقصى مطلبه، فإن كثيرًا من النفوس ليس لها همة في سوى ذلك، وأما ما لا يحمد ولا يذم هو ما خلا عن هذين القصدين وتجرد عن الوصفين»[1].

۞۞۞

(١) الفوائد ١٨١.